مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 10- العدد 4 (ديسمبر) 1442هـ/2020م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 ردمد
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الشيخ المختار بن خليفة (1834- 1900) من خلال مخطوطات زاويته

Sheikh El Mokhtar Ben Khelifa (1834-1900) Through the Manuscripts of his Zaouia

اسم ولقب المؤلف المرسل للمقال: عبد القادر قوبع- **Goubaa Abdelkader** صص344-356
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الجلفة- (الجزائر).
البريد الإلكتروني: **goubaaa61@gmail.com**

تاريخ استقبال المقال:2020/06/03 تاريخ المراجعة:2020/08/30 تاريخ القبول:2020/09/28

الملخص باللغة العربية: يتناول هذا المقال شخصية الشيخ المختار بن خليفة الحدباوي الجلفاوي الجزائري (1834-1900)، شيخ زاوية عين أقلال في منطقة الجلفة، وذلك بالاعتماد على مجموعة هامة من مخطوطات زاويته، والتي رأت النور مؤخرا فقط، هذه الوثائق المتنوعة من رسائل وإجازات وجداول إحصاء وجرد وقصائد شعر... عكست أهمية هذه الشخصية العلمية، ومراسلاتها ورحلاتها داخل الجزائر نحو زاوية الهامل وبرج بن عزوز، وخارج الجزائر نحو تونس ومصر والحجاز، كما عكست لنا بعض جوانب الحياة الثقافية والعلمية السائدة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وقد استعنا أيضا ببعض المصادر والمراجع المنشورة لتأكيد بعض الجزئيات الواردة في هذه المخطوطات، وفهم جزئيات أخرى، أو لتعريف شخصيات واردة فيها.

وحصلنا على هذه المخطوطات من شيخ زاوية عين أقلال، وهي متوفرة في مكتبة هذه الزاوية الموجودة بمدينة الجلفة.

الكلمات المفتاحية: المختار بن خليفة؛ عين أقلال؛ الجلفة؛ الزاوية؛ المخطوطات.

Abstract: *This article deals with the personality of the Sheikh El Mokhtar Ben Khelifa El Hadbaoui djelfaoui Algerian (1834-1900) sheikh of Zaouïa «Ain Aglal» in the Djelfa region, we based on a large collection of manuscripts of his Zaouïa published recently, these documents consist in letters, licenses, statistical tables, inventory, poems... etc. the latter (documents) have reflected the importance of this scientific personality, his correspondence and his travels. On the one hand, in Algeria towards the Zaouïa of El Hamel and Bordj Ben d'Azzouz. On the other hand: his travels in Tunisia in Egypt and the Hejaz. They also reflected some aspects of cultural and scientific life dominant at the end of*

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

the nineteenth century. We also used some sources and references edited to confirm some particularities mentioned in these manuscripts and to understand other peculiarities as well as to present other personalities. We obtained these manuscripts through the Zaouïa of Ain Aglal. whom they are available at his library in Djelfa.

Keywords: El Mokhtar Ben Khelifa; Ain Aglal; Djelfa; Zaouïa; Manuscripts.

المقدمة: لا يخفى على الباحث المتخصص في التاريخ الثقافي للجزائر أهمية المخطوطات في رسم صورة واضحة عن الحياة الثقافية والدينية في جوانبها المختلفة باعتبارها أهم أشكال المادة التاريخية، وأبرز مظاهر الإنتاج الثقافي من جهة، ومن جهة أخرى تبرز حالة الندرة التي تلازم هذه المخطوطات، وفي حال توفر جزء منها يبرز مشكل اتساع الفراغات ومساحات الظل التي تبقى عائقا أمام الباحث لاستكمال إعادة رسم وبناء الصورة الصحيحة لموضوع ما.

في هذا السياق تأتي هذه الدراسة- المعتمِدة أساسا على مخطوطات زاوية عين أقلال التي رأت النور حديثا- للتعريف بشخصية الشيخ المختار بن خليفة باعتباره أهم شخصية تحدثت عنها هذه الوثائق أو أشارت إليها، مع إدراكنا لغياب وضياع وثائق أخرى كان من الممكن أن تساهم في هذه الدراسة؛ فكيف يَرِد اسم الشيخ المختار بن خليفة في "فهرس الفهارس..." لعبد الحي الكتاني في أربع مواضع في سياق نظام الإجازات؟ ثم لا نجد له ذكرا في معاجم الأعلام والدراسات التي تتحدث عن العلماء الجزائريين؟

وكما هو معروف في أي بحث تاريخي فإن هذه الدراسة لا تُسلّم بكل ما جاء في هذه المخطوطات؛ بل سعت للمقارنة والاستئناس بمصادر معاصرة أشارت للشيخ المختار بن خليفة أو أساتذته أو طلبته من قريب أو بعيد.

2- المختار بن خليفة: المولد والنشأة: ولد المختار بن خليفة حوالي عام 1249هـ الموافق لحوالي عام 1834م، وقد اعتمدنا في هذا التاريخ على عمره في أكتوبر 1869 الموافق لرجب 1286هـ، إذ كُتب في جواز سفره أن عمره خمس وثلاثون سنة في ذلك التاريخ، وهناك تاريخ آخر متداول في كثير من الكتابات تعتمد كلها على رواية أبناء زاوية عين أقلال، وهو سنة 1243هـ/1928 التي لا نعلم مصدرها؛ فالفارق بين التاريخين هو خمس سنوات، وهو أمر معروف كثير الحدوث في تأريخ مواليد الأعلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وُلد الشيخ المختار بن خليفة في منطقة بويرة الأحداب (شمال مدينة حاسي بحبح بولاية الجلفة حاليا) حيث مقر زاوية عائلته المعروفة بزاوية عين أقلال في جبل الخَيثَر المعروف في المنطقة.

أما نسبه الكامل فهو المختار بن خليفة بن بلقاسم بن قويدر بن جلول بن الطاهر بن سيدي عيسى بن عبد الرحمن بن سيدي الناصر (مول الحدبة) من ذرية الولي الصالح سيدي عيسى.

ولا شك أن ترعرعه داخل زاوية عائلته- التي تأسست عام 1225هـ/1811م- قد وفّر له حظا كبيرا في ملازمة الدروس والمعلمين تحت رقابة ورعاية والده خليفة بن بلقاسم شيخ الزاوية، وهو ما سيظهر في نبوغه وشغفه بالعلم وأهله، وبشهادة شيوخه وأقرانه وتلاميذه بعد ذلك[1].

ورغم افتقارنا لمعلومات دقيقة عن مراحل تعلمه الأولى؛ إلا أنه يمكننا اعتماد تصور عام سائد خلال تلك الفترة، وهو حفظه للقرآن الكريم في زاوية عائلته، ومبادئ اللغة العربية والفقه والحديث الشريف.

وفي مرحلة الصبا ظهرت صفات الطالب المجتهد الشغوف بطلب العلم على المختار بن خليفة، أما الصفات الخَلقية- وحسب ما هو مسجل في جواز سفره في 16 أكتوبر 1869م- فهو أسمر البشرة، وذو شعر أسود كثيف، وأحول العين اليمنى، وله لحية سوداء[2].

3- رحلته العلمية: ما إن أتمّ المختار بن خليفة مرحلة الطلب الأولى في زاوية عائلته حتى أرسله والده الشيخ خليفة إلى المراكز العلمية الكبرى في الجزائر التي تتبع الطريقة الرحمانية (الخلوتية)؛ استزادة للعلم الشرعي، وتزكية لابنه، وتبحرا له في التصوف، والملاحظ أنها رحلة طويلة مرّت بمحطات متعددة:

- **زاوية أولاد جلال (المختارية):** درس فيها على يد الشيخ المختار بن خليفة بن عبد الرحمن الجلالي، وهو ما ورد في كتاب "تعطير الأكوان..."؛ حيث جاء في معرض ذكر تلاميذ الشيخ المختار بن خليفة بن عبد الرحمن الجلالي: "...، ومنهم العلامة المحقق العارف صاحب الخلال السنية الشريفة الشيخ سيدي الحاج المختار بن خليفة العيسوي الحدباوي"[3].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **زاوية نفطة (تونس):** مكث بها عدة سنوات منقطعا للعلم والتصوف، ومستغلا الجو العلمي المزدهر بها بفضل التقاء علماء ومدرسي القطرين الجزائري والتونسي فيها، وما نتج عن ذلك من تفاعل علمي.

وقد احتفظت لنا مخطوطات زاوية عين أقلال بقصيدة مهمة جدا تنسب إلى الشيخ خليفة بن بلقاسم يبلغ فيها سلامه لابنه المختار في زاوية نفطة، وشوقه وعتابه له على نسيانه أهله، وقطع مراسلاته إليهم للاطمئنان عليهم، يقول فيها:[4]

سـلام الله للـفـتى الأوّاب ما حنّ مشتاق إلى الأحباب
مـن فـاء بالعلم على الأكابـر وامتثلت لأمـره الجبـابـر
مـن أبـيـه إلى ابـنـنـا ولدنـا المختـار بـن خليفة
إنّ المُسلّـم عنـك أبـاك مـن كـان في صغرك ربّاك
علّمك القرآن مـع الرسـم وخطـه يغنيك عن الاسم
أشفق عنك في الزمان الماضي في حالة الصحة والأمراض

ثم يختم القصيدة بطلبه من ابنه رد الجواب:

وردّ لي الجـواب يـا حبيب ليطمئـن القلب ويـطيب

ومن المرجح أن يكون تاريخ عودة المختار بن خليفة إلى زاوية عائلته حوالي 1860م؛ متفرغا للتدريس ورعاية شؤون عائلته، ثم قرر الرحلة من جديد عام 1869م، وهذه المرة لأداء فريضة الحج، والاستزادة من العلم، وأهم محطات هذه الرحلة الثانية:

- **مكة المكرمة:** انتقل الشيخ المختار نحو مكة المكرمة رغبة في أداء فريضة الحج، والاستزادة في طلب العلم والتزكية، وقد كان من عادة المغاربة عبر التاريخ الإسلامي إطالة مدة إقامتهم في بلاد الحرمين عبادة وتبركا وتعلما، وحسبما يتوفر من وثائق وقرائن فإن المدة التي قضاها الشيخ المختار هناك تقارب الثلاث سنوات، درس فيها على الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري والشيخ محمد بن محمد العزب[5].

- **المدينة المنورة:** حرص الشيخ المختار على التعلم من مشايخها وعلمائها، وملازمة أهل الصلاح فيها، بخاصة أن الكثير من العلماء والمشايخ وأهل الصلاح يختارون الإقامة فيها تعبدا وتبركا، وهو ما مثّل فرصة للشيخ المختار بن خليفة للقاء كثير منهم والاستجازة منهم، وهو ما تعكسه الإجازات التي حازها هناك، والتي كانت أغلبها عام 1288هـ/1872م، ومن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أشهر من أجازه هناك الشيخ العلامة عبد الغني الدهلوي في الكتب الستة للحديث كما يذكر عبد الحي الكتاني[6].

- **جامع الأزهر(مصر):** انتقل الشيخ المختار بعد إقامته الطويلة في بلاد الحرمين نحو جامع الأزهر بمصر حوالي عام 1290هـ/1873م مواصلا تعلمه، وجلوسه إلى العلماء، وحضور حلقات العلم كحلقة الشيخ عليش الذي درس عليه الفقه والتوحيد والتفسير...، كما درس على الشيخ حسن العدوي علم الحديث[7].

- **الإسكندرية:** يبدو أن استقرار الشيخ المختار بالإسكندرية لم يطل، حيث لا تعكس الوثائق طول هذه الإقامة ولا أهميتها، والشيء الوحيد الظاهر هو لقاؤه واستجازته للشيخ عبد الله البنا في علم الحديث حوالي عام 1290هـ/1872؛ فهل كانت زيارة الإسكندرية من أجل لقاء الشيخ عبد الله البنا للاستجازة منه فقط؟ أم أنه التقى بعلماء آخرين للهدف ذاته؟ وما هي مدة إقامته بالإسكندرية؟ كل هذه الأسئلة تبقى مطروحة في غياب وثائق وقرائن تجيب عنها. ما نعرفه فقط هو أنه في شهر ذي القعدة من عام 1289هـ (جانفي 1873) كان في مكة والمدينة، وأنه كان في الإسكندرية في شهر صفر 1290هـ (أفريل 1873)[8].

- **العودة إلى زاوية نفطة:** كانت هذه المحطة في طريق عودته من مصر إلى زاويته (وسط الجزائر)، حيث زار زاوية نفطة حوالي عام 1290هـ/1873 بهدف زيارة شيوخه، وهي عادة علمية وصوفية معروفة في أدبيات العلماء والصوفية؛ فمكث بها مدة مدرسا لطلبتها؛ خاصة وأنه قد عاد من الحجاز ومصر بإجازات كثيرة أهّلته لتصدر المجالس، كما كان هدف المدرسين والعلماء من ملازمة الزوايا لقاء العلماء الزائرين والاستزادة، والاستجازة منهم. وتعكس لنا عدة وثائق استمرار العلاقات العلمية بين الشيخ المختار وأبناء زاوية نفطة وشيوخها، من ذلك رسالة كتبها الشيخ المكي بن عزوز إلى الشيخ المختار خليفة توضح المكانة العلمية للشيخ المختار، واعتبار المكي بن عزوز له بأنه شيخه متأسفا لعدم لقاء شيخه: "... إلى العلامة التقي العارف بالله شيخنا سيدي المختار ابن الخليفة بارك الله في أوقاتكم الشريفة؛ السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فإنّا نحمد الله على عافيتكم، وإني مشتاق إليكم، ولم يقدّر الله الاجتماع بكم في عام 1289هـ، والأمور على مراد الله..."، كما يخبره بوفاة عمه سيدي التارزي وأخيه محمد بن عزوز؛ ليختم بطلب الدعاء وتجديد السلام: "من ابنكم مقبل يدكم"[9].

- **العودة إلى زاوية طولقة:** وهي بهدف زيارة شيوخه وأحبابه والإجازة والاستجازة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 ردمد
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- **زاوية أولاد جلال (بسكرة):** زارها الشيخ المختار للتدريس فيها لمدة يسيرة، حيث تعلم على يده الشيخ محمد بن بلقاسم البرجي والشيخ محمد الصغير بن الشيخ المختار اللذين أقرّا بفضله وعلمه وتبحره؛ ففي إحدى رسائل الشيخ محمد الصغير شيخ زاوية أولاد جلال (عام 1324هـ/1906م) إلى الشيخ بن عزوز شيخ زاوية عين أقلال يخاطبه بأنه نجل "المرحوم السيد الشيخ المختار بن خليفة"، بما يوحي بمكانة الشيخ المختار، كما تعكس الرسالة متانة العلاقة بين الزاويتين ورسوخها[10].

- **زاوية الهامل :** يبدو أن زيارة الشيخ المختار لزاوية الهامل كانت للقاء شيخه محمد بن أبي القاسم[11]؛ حيث تعكس الوثائق متانة الرابطة والمودة التي جمعتهما، إضافة إلى أنها محطة لابد منها للاستراحة، وكذلك لاستعراض ما حصّله الشيخ المختار من علوم وإجازات وتزكية ونشره لطلبة الزاوية وحتى مدرسيها ممن تربطهم علاقات مميزة به، نذكر هنا الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي والشاعر عاشور الخنقي[12]، وتوجد عدة مراسلات ووثائق متبادلة بين الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي والشيخ المختار بن خليفة تعكس هذه العلاقة العلمية والمودة الأخوية بينهما؛ يعتبر فيها الديسي أن الشيخ المختار أستاذه.

4- إجازاته: كانت الإجازة سواء المكتوبة والشفوية في تاريخ الحضارة الإسلامية عمدة اعتبار العلماء وأئمة العلم والتصوف؛ مراعية التمكن في العلم والحفظ، والاعتدال في السلوك لمانحها و لطالبها، وكلما تنوعت وتعددت الإجازات تأكد للناس علو كعب صاحبها؛ فهي شهادة وتأكيد برسوخه في العلوم المذكورة.

استفاد الشيخ المختار بن خليفة من علاقاته المتينة بالزوايا الكبرى في المنطقة كزاوية الهامل وزاوية أولاد جلال وزاوية طولقة وزاوية نفطة؛ فضمن التكوين اللازم فيها والاطلاع على ما تحويه من مؤلفات ومذاكرة شيوخها قبل أن يوسع اطلاعه في الحجاز ومصر بمناسبة رحلته إلى الحج؛ حيث مكث هناك عدة سنوات، وقد شاع أن طلبة العلم وحتى العلماء يستجيزون كل من يلقونه من العلماء والمشاهير تبركا وتأكيدا، رغم أنهم يحفظون ويفهمون ما قد أجيزوا فيه، بخاصة أن الكتب المشهورة كانت تدرس في أغلب الزوايا الكبرى.

والملاحظ أن خزانة زاوية عين أقلال تحتفظ بعدد من الإجازات الأصلية أو المنسوخة التي ترجع للشيخ المختار بن خليفة أو لخلفه، ولا ندري هل توجد إجازات أخرى مشتتة لم تصلها أيدينا أو تالفة؟ مثلما هو حال كثير من وثائق الزاوية، وسنكتفي بالإجازات التالية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4-1- إجازة الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري (ذي القعدة 1289هـ/1873): وهي إجازة عامة في مختلف الفنون والعلوم التي يجيز فيها الشيخ محمد ظاهر الوتري لطالبها الشيخ المختار خليفة، وقد ذاكره في ذلك بالمدينة المنورة في شهر ذي القعدة 1289هـ الموافق لعام 1873م، كتب فيها: "...؛ فلما منّ الله عليّ بالاجتماع بالعالم الفاضل الأديب الكامل الشريف البركة الصالح سيدي محمد بن الخليفة من أولاد سيدي عيسى نفعنا الله به عام زيارته في ذي القعدة الحرام سنة 1289 بالمدينة المنورة والروضة المطهرة...".

وقد أجازه بقوله: "... أجزت الشريف المذكور ضاعف الله لي وله الأجور بجميع مروياتي ومسموعاتي ومقروءاتي، وما تصح عني روايته وتجوز بشرطه المعتبر عند أهل الأثر، وكذلك أجزته أن يروي عما في الثبت المبارك..."[13].

4-2- إجازة الشيخ محمد بن محمد العزب: وهي إجازة عامة في جميع العلوم والفنون (المعقول والمنقول)، منحها المحدث محمد بن محمد العزب للشيخ المختار خليفة في المدينة المنورة بتاريخ 22 من شهر ذي القعدة 1289 الموافق لمطلع عام 1873.

ومما جاء فيها: "... فقد التمس مني ولدنا الفاضل التقي الشيخ أحمد المغربي الإجازة لولدنا الفاضل العالم العامل سلالة البر الأخيار سيدي الموفق الشريف المختار بن الخليفة جعله لأسلافه خير خليفة؛ فقد أجزت الشريف المختار المذكور بما تجوز لي روايته من معقول ومنقول، كما تلقيته عن أشياخي المحققين الفحول"[14].

4-3- إجازة الشيخ محمد بن محمد العزب في الطريقة الخلواتية: وهي إجازة في الطريقة الخلواتية منحها المحدث الشيخ محمد بن محمد العزب في ذي القعدة 1289هـ الموافق لـ1873م للشيخ المختار، وذكر فيها السلسلة الصوفية التي أخذ عنها الشيخ محمد بن محمد العزب التصوف، ثم كتب: "وقد أجزت العالم الفاضل السيد مختار بن خليفة بأن يستغفر الله مائة بأن يقول استغفر الله العظيم؛ استغفر الله العظيم إلى آخر المائة، وأن يذكر الجلالة مائة مرة، وذلك جميعه في كل صباح ومساء، ثم بعد فراغه من الذكر يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول اللهم صلّ على سيدنا محمد الجامع لأسرارك الدال عليك ثلاثا، وكل هذا مع حضور القلب، ثم بعد ذلك يقرأ الفاتحة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يقرأها ثانيا لأهل السلسلة جميعا، ثم ثالثا لشيخه ولجميع المسلمين يدعو الله تعالى..."[15].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4-4 - إجازة الشيخ حسن العدوي: وهي إجازة خاصة في علم الحديث من الشيخ المحدث حسن العدوي للشيخ المختار بن خليفة، وذلك في الأزهر الشريف أجازه في كتابه "النور الساري من فيض صحيح البخاري"، كما أجازه بالكتب الستة في الحديث، وقد ورد فيها: "...؛ فقد استجازني ولدنا الفاضل والهمام الكامل الشيخ مختار بن خليفة الجزائري بما في هذا الكتاب الشريف بعد أن سمع مني بعضه؛ فقلت قد أجزته به وبغيره مما تلقيته من كتب الستة، وفقنا الله وإياه لصالح الأعمال بجاه النبي وصحبه وصلى الله عليه وسلم وآله وشرف وكرم، الفقيه حسن العدوي خادم العلم بالأزهر".

وهذه الإجازة دون تاريخ لكن من الواضح أنها كانت في أثناء زيارة الشيخ المختار خليفة للقاهرة والإسكندرية[16].

كما أجازه إجازة أخرى في شرح دلائل الخيرات المسمى "بلوغ المسرّات على دلائل الخيرات"، ورغم أن الجزء الأكبر من نص الإجازة قد طمس إلا أن نسخة الكتاب لا زالت موجودة بخزانة زاوية عين أقلال[17].

4- 5- إجازة عبد الله بن محمد بن صالح البنا: وهي إجازة في علم الحديث وفي التصوف أخذها الشيخ المختار من الشيخ المحدث عبد الله بن محمد بن صالح البنا في الاسكندرية في شهر صفر 1290هـ/أفريل 1873م، جاء فيها: "...؛ فقد اجتمع بي العالم الفاضل واللوذعي الكامل الشيخ المختار بن خليفة المالكي الجزائري من أولاد سيدي عيسى بن عبد الرحمن وسمع مني، وأسمعني أشياء من الأحاديث النبوية التي اشتمل عليها الجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، والتمس مني أن أجيزه بهذا الكتاب؛ وبباقي كتب الحديث الشريف ظنا منه أني أهل لذلك؛ فأجبته راجيا من الله تعالى أن يحقق ظنه..."[18].

كما أجازه في التصوف، وهذا نصه: "... وكذلك أجزت المذكور بقراءة المسبعات العشر المروية عن الخضر عليه السلام، وقراءة صلوات العارف بالله سيدي أحمد الدردير ومنظومته لأسماء الله الحسنى صباحا ومساء..."[19].

5- علاقاته ومراسلاته مع معاصريه: بفضل تنقلات الشيخ المختار في مراحل تعلمه الأولى؛ أو بعد توليه مشيخة زاويته (عين أقلال) في جبل الخيثر؛ أو أثناء رحلته الحجية التي طالت، واتخذت عدة محطات هامة لها اكتسب علاقات متعددة مع مشايخ الزوايا الرحمانية التي ارتبط بها، ومع معلميها وأبنائها ممن درسهم؛ أو أجازهم أو التقى بهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن خلال ما يتوفر من مراسلات بينه وبين من ذكرنا نلاحظ أن هذه المراسلات تعكس مكانة الرجل العلمية، واحترامهم له، وقربه إلى هؤلاء، وحرصه على السؤال عن أحوالهم والاطمئنان عليهم، وإرسال الهدايا أحيانا، وقضاء ما يوصون به أو يحتاجون إليه، كما نلاحظ سعيهم لخدمته فيما يوصي به أو يطلبه، ومراسلته للاطمئنان عليه.

5-1- رسالة الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز إلى الشيخ المختار بن خليفة: من هذه الرسائل نجد رسالة من العلامة الشيخ محمد المكي بن عزوز إلى الشيخ المختار بن خليفة في ذي القعدة 1290هـ/1873م، وهي رسالة إخوانية للاطمئنان على الشيخ المختار باعتباره شيخا وأستاذا لمحمد المكي بن عزوز؛ فيصفه بعبارات "شيخنا"، "والسلام من ابنكم مقبل يدكم"، كما يتأسف لعدم لقائه عام 1289هـ، ويخبره ببعض أخبار العائلة كوفاة عمه سيدي التارزي وأخيه محمد بن عزوز[20].

5-2- رسالة أخرى للشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز: وهي بتاريخ 20 محرم 1315هـ الموافق لـ2 جوان 1897م، أرسلها إلى الشيخ المختار، وهي رسالة إخوانية ردا على رسالة من الشيخ المختار، وموضوع رسالة محمد المكي حول أثر وفاة الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي على الشيخ محمد المكي بن عزوز وعلى جميع المريدين والطلبة.

من جهة أخرى تبرز الرسالة الامتنان والاحترام الكبيرين من المكي بن عزوز لشيخه وأستاذه الشيخ المختار؛ حيث كتب في مطلعها "سيدي وشيخي وولي نعمتي العلامة البحر الواسع الشيخ سيدي المختار بن خليفة".

وفي ختامها كتب: "... فضلُكم مطوق به عنقي جازاكم الله عني خيرا، وأحيا بكم العباد والسلام من مقبل يديكم الكريمتين تلميذكم محمد المكي بن مصطفى بن عزوز[21].

كما أشار الباحث بشير ضيف في جرده لمحتويات خزانة زاوية عين أقلال إلى رسالة أخرى من المكي بن عزوز إلى الشيخ المختار يذكر فيها ارتفاع ثمن الكتب في مقر إقامته باسطنبول[22].

5-3- رسالة المحدث الشيخ أحمد الأمين بن محمد المدني بن عزوز: وهي رسالة بتاريخ 22 جمادى الثانية 1314هـ الموافق لـ27 ديسمبر 1896م.

وموضوعها في أمر تبرعات أو هبات أو اشتراكات، إضافة إلى هدايا بعث بها الشيخ المختار بن خليفة إليه؛ حيث وصل جزء منها؛ وهو مبلغ مئة دورو؛ بواسطة "العالم السمح النحرير سيدي محمد بن الحاج محمد"، ولم يصل الجزء الباقي، كما يظهر من الرسالة أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هناك عدة رسائل سابقة من الشيخ أحمد المدني إلى الشيخ المختار بواسطة عنوان في مدينة بوسعادة أو في بوغار (المدية)، ويختم الشيخ أحمد الأمين الرسالة بالدعاء الصالح الطويل له ولأهله عرفانا وامتنانا بوصول هذه الهدية، والملاحظ أنه يخاطب الشيخ المختار بعبارة "شيخنا سيدي المختار بن خليفة"، كما يذكر رابطة العلم التي جمعتهما[23].

5-4- رسالة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي: وهي رسالة من الشيخ الديسي إلى الشيخ المختار بن خليفة بتاريخ 21 محرم 1314هـ الموافق لـ1 جويلية 1896م، والظاهر أنها كتبت ردا على رسالة من الأخير بواسطة ابنه محمد بن عزوز (الطالب في زاوية الهامل)، ويشكر الديسي- في هذه الرسالة- الشيخ المختار على هديته له (الصِلة)، كما يُفصل له أخبار دراسة ابنه (محمد)، والدروس التي يدرسها ويطمئنه برعايته ومراقبته، وحثه على طلب العلم والاجتهاد فيه، ومما جاء فيها: "... وقد وصلني جوابك الجليل، وما معه من الصلة وصلك الله بكل خير وحامله عوض ولدنا السيد محمد بن عزوز نسأل الله له الفتح والذوق والشوق...".

كما يخبره بالكتب التي يدرسها هذا الطالب، وهي كتاب "قطر الندى" في النحو، و"المنظومة الرحمانية" للشيخ محمد بن أبي القاسم في التصوف: "...، وقد صادفنا في قراءة القَطر، وصلنا فيه إلى إعراب الفعل المضارع، مع قراءة التفسير والرحمانية صباحا ومساء بحضرة الأستاذ (محمد بن أبي القاسم)..."[24].

5-5- رسالة ثانية من الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي: وهي رسالة من الشيخ الديسي إلى الشيخ المختار بن خليفة بتاريخ 10 شعبان 1314هـ الموافق لـ13 جانفي 1897م، جاء في مطلعها: "الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه (؟)، الفاضل الكامل العالم العامل العارف والمحقق الشيخ سيدي المختار بن خليفة، وساير من يلوذ بجانبك الرفيع...".

وموضوع الرسالة هو إبلاغ الشيخ المختار بن خليفة بوصول مجموعة من الكتب إلى زاوية الهامل كان قد أوصى الشيخ الديسي باقتنائها لصالح زاوية عين اقلال، وهي عشرة كتب: "... الصبان على الأشموني سفران، التصريح سفران، خلاصة الأثر أربعة أسفار، سلك الدرر سفران..."، ثم يطلب منه إرسال من يستلمها، كما تتطرق الرسالة لأخبار عاشور الخنقي حيث جاء فيها: "... أما عاشور فقد نفاه الحكام إلى الخنقة، وبلغنا في هذا العهد الأخير أنهم نفوه إلى فرانسه، والله أعلم بصحة ذلك"[25].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5-6- رسالة من أحمد بن عبد الرحمن السنوسي البسكري إلى الشيخ المختار: وهي بتاريخ جمادى الثانية 1313هـ (ديسمبر 1895م) أرسلها من المدينة المنورة، وموضوعها إبلاغ الشيخ المختار بأن الشيخ أحمد الأمين بن المدني بن عزوز قد أمر السيد أحمد السنوسي خلال إقامته بمصر بإرسال نسخة من خلاصة الوفي، وشرح ورد سحر، وكذلك شرح الشيخ سيدي مصطفى البكري، ورسالة الإمام مالك إلى هارون الرشيد (مواعظ)، وشرح الشبراوي إلى الشيخ المختار بن خليفة، كما يخبره بأن شرح الشيخ سيدي مصطفى البكري معدوم، أما بقية الكتب فسيرسلها له، ويطلب منه إخبار الشيخ سيدي أحمد الأمين في المدينة المنورة بأن أحمد السنوسي قد قام بواجبه نحو الشيخ المختار، وهو إرسال الكتب المذكورة إليه[26].

تعكس هذه الرسالة جانبا ثقافيا وعلميا مهما في حياة الشيخ المختار؛ ألا وهو حرصه على جمع الكتب لزاويته، وسعيه الحثيث في ذلك، وباعتمادنا على فهرس خزانة زاوية عين أقلال الذي وضعه الشيخ المختار لجرد محتوياتها، ثم أكمله من جاء بعده لاحظنا هذا الحرص؛ إذ نجد في فهرس مؤرخ بـ3 شوال 1328هـ/7 أكتوبر 1910م عددها 83 كتابا، بينما تذكر وثيقة أخرى شراءه لأربعة كتب من المحدث محمد علي ظاهر الوتري، وذلك بتاريخ 1289هـ/1873م[27].

6- الخاتمة: نخلص من هذه الدراسة إلى أن شخصية المختار بن خليفة شخصية علمية وصوفية استفادت من الظروف الملائمة في زاوية عائلته "عين أقلال" للنهل من العلم، ثم الانتقال إلى مختلف زوايا المنطقة مرورا إلى زاوية نفطة التي قضى فيها أطول فترة في حياته العلمية، كما تعكس لنا المخطوطات أهمية رحلته الحجية التي استفاد منها في الاتصال والاحتكاك بكبار علماء عصره في مكة والمدينة المنورة ومصر متوجا ذلك بإجازات كثيرة، إضافة إلى بقاء اتصالاته ومراسلاته مع بعض شيوخه وطلبته الذين اشتهروا في عالم الفقه والحديث والتصوف، وتبرز لنا المخطوطات الموجودة سعي الشيخ المختار لتعمير زاويته (عين أقلال) باقتناء المؤلفات من خارج الجزائر، وحرصه الكبير على ذلك من خلال رسائله أو من خلال الفهرس الذي كتبه لجرد محتويات خزانته.

ويتضح من خلال هذه المخطوطات أن الشيخ المختار بن خليفة رغم أهمية تكوينه العلمي في الفقه والحديث خاصة، ومركزه الصوفي، وتنقله خارج الجزائر وإجازاته القيمة، وأهمية زاويته إلا أن الدراسات التاريخية لم تتمكن من الانتباه لهذه الشخصية ودورها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومكانتها، وهو أمر يعود إلى غياب الوثائق اللازمة من جهة، ولعدم اهتمام الشيخ بالتأليف- كما يبدو- وانصرافه للتدريس.

الهوامش والإحالات:

1- علي بن عبد الله النعاس، تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد باقة من العلماء و الصلحاء لمدينة الجلفة وضواحيها، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2016، ص194،195.----2- وزارة البحر بالدولة التونسية، جواز سفر، مكتبة زاوية عين أقلال، بويرة الأحداب، الجلفة.

3- المختار بن خليفة بن عبد الرحمن: ولد في 1200هـ في سيدي خالد (بسكرة)، ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر، درس على علماء بلده (أحمد السماتي...) كما سلك على يد الشيخ محمد بن عزوز البرجي وعلي بن عمر حتى أذنا له بتأسيس زاويته عام 1230هـ/1815م في أولاد جلال (بسكرة)، توفي 1276هـ. محمد الصغير الجلالي، تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، تحقيق طاهيري مختار بن الحاج مصطفى، دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، صص42- 46 ص331.----4- قصيدة بعنوان "سلام الله للفتى الأوّاب"، مخطوطة بمكتبة زاوية عين أقلال، دون رقم. وروى لنا شيخ زاوية عين أقلال الأستاذ البشير خليفة هذه القصيدة و مناسبتها وقصتها في مقابلة شخصية بتاريخ 12 أوت 2017 بزاوية عين أقلال ببويرة الأحداب.

5- محمد علي ظاهر الوتري: (1261-1322هـ/1845-1904م) الحسني النجفي المدني، يعتبر محدث المدينة، ارتحل إلى المغرب مرتين فأخذ عنه الناس، ترك عدة مؤلفات منها: "التحفة المدنية في المسلسلات الوترية"، "الأوائل"...إضافة إلى إجازة صغيرة كان يجيز بها في أعوامه الأخيرة. وقد فصّل عبد الحي الكتاني في إجازاته التي أجازها لطلبة العلم. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ج6 ط15، 2002، ص301/عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982، صص85، 86، 99،101،106.----6- الكتاني، مصدر سابق، ص762/عبد الغني الدهلوي: ولد حوالي عام 1235هـ، محدث ومسند من عائلة توارثت العلم أبا عن جد، لقب " حامل لواء أهل الرواية والأثر في بلدة سيد البشر"، اشتهر بكثرة روايته واستجازته وإجازته للطلبة من مختلف البلدان منهم عبد الحي الكتاني والمختار بن خليفة، له حاشية على سنن ابن ماجه سماها: " إنجاح الحاجة عن سنن ابن ماجه". الكتاني، مرجع سابق، صص762،763.

7- عُليش (1217-1299هـ/1802-1882م): محمد بن أحمد بن محمد عليش، فقيه من أعيان المالكية، أصوله من طرابلس الغرب، ولد وعاش وتوفي بالقاهرة، تتلمذ على يده الكثير كما له تصانيف كثيرة منها: "فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الامام مالك"، "منح الجليل على مختصر خليل"، "هداية السالك". الزركلي، مرجع سابق، ج6، صص19، 20/حسن العدوي الحمزاوي (1221-1303هـ/ 1806-1886): فقيه مالكي من قرية عدوة بمصر تعلم في الأزهر، ترك إجازات كثيرة لطلبة العلم أوردها عبد الحي الكتاني في كتابه "فهرس الفهارس"، كما ترك مؤلفات عديدة منها: "النور الساري من فيض صحيح البخاري" في خمس مجلدات، "تبصرة القضاة والإخوان"، "النفحات الشاذلية"، "إرشاد المريد في خلاصة علم التوحيد"، "المدد الفياض"، توفي في القاهرة. الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص199/الكتاني، مصدر سابق، صص121،134،102، 200،234.

8- عبد الله بن محمد صالح البنا: محدث مصري شهير، درس على يد والده محمد صالح الشهير أيضا، وقد فصّل عبد الحي الكتاني في الإجازات التي أجازها لكثير من طلبة العلم وأهله ومنهم عبد الحي نفسه. عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، صص136، 394، 460، 467.----9- رسالة محمد المكي بن عزوز إلى الشيخ المختار بن خليفة في ذي القعدة 1290هـ، مخطوطة بمكتبة زاوية عين أقلال، دون رقم.----10- رسالة الشيخ سيدي محمد الصغير إلى الشيخ بن عزوز بن المختار. مكتبة زاوية عين أقلال، دون رقم/محمد الصغير بن المختار بن خليفة بن عبد الرحمن الجلالي: ولد في قرية أولاد جلال (بسكرة) تولى مشيخة زاوية أولاد جلال بعد وفاة أخيه مصطفى عام 1860، وهو فقيه وصوفي ومؤلف كتاب "تعطير الأكوان..."، أخذ عنه الكثير من الطلبة والمريدين، توفي عام 1916. محمد الصغير الجلالي، مصدر سابق، ص14.

11- محمد بن أبي القاسم(1239-1315هـ/1823-1897): بن ربيح بن محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن المنصور الحسني، فقيه مالكي وصوفي رحماني، ولد بالحامدية قرب حاسي بحيح بالجلفة عند أخواله، درس في بلاد زواوة ثم عاد إلى الهامل عام 1844 مدرسا ليؤسس زاويته قرب بوسعادة (المسيلة) في عام 1863، ترك "منظومة الأسمائية"، توفي في بويرة السحاري. - الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص 9. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980، ص335.

12- - محمد بن عبد الرحمن الديسي (1854- 1921): محمد بن محمد بن عبد الرحمن ولد بقرية الديس قرب بوسعادة، درس بالهامل على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم، وفي زاوية سيدي السعيد بن أبي داود بزواوة، اشتهر بقوة حافظته وبيانه، ترك مؤلفات كثيرة في التصوف والعقيدة والفقه واللغة والأنساب... له تعليقات ونقود هامة كما له إجازات كثيرة ومرويات متنوعة، وممن روى عنه واستجازه عبد الحي الكتاني. الكتاني، مصدر سابق، صص562،571/عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان ومزاب بين سنتي 1920 و 1954، دار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015، ص123/عاشور الخنقي: عاشور بن محمد... بن عبد العزيز، شاعر جزائري معروف بقوة شعره، ولد في خنقة سيدي ناجي بالزيبان حوالي عام 1854، درس بزاوية نفطة، وعاش بين زاوية الهامل وقسنطينة، وصفه عبد الحي الكتاني "شاعر الجزائر المعمر"، اشتهر بقوة شعره وحافظته وكثرة روايته فقد روى عن الكثير منهم محمد المدني بن عزوز وأحمد العربي بن الحاج الفاسي...كما أجاز الكثير من أهل العلم ومنهم المختار بن خليفة وعبد الحي الكتاني...توفي عام 1929 ، له كتاب "منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف". الكتاني، مصدر سابق، صص118،117،104،551/عاشور الخنقي، منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1914، ص172.

13- إجازة الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري، مخطوطة في مكتبة زاوية عين أقلال. دون رقم.----14- إجازة الشيخ محمد بن محمد العزب، مخطوطة في مكتبة زاوية عين أقلال، دون رقم.--15- إجازة الشيخ محمد بن محمد العزب في الطريقة الخلواتية ، مخطوطة في مكتبة زاوية عين أقلال. دون رقم.----16- إجازة الشيخ حسن العدوي، مخطوطة بخزانة زاوية عين اقلال، دون رقم

17- شرح دلائل الخيرات، مخطوط، خزانة زاوية عين أقلال، رقم 222.----18- إجازة عبد الله بن محمد بن صالح البنا، مخطوطة بخزانة زاوية عين أقلال، دون رقم.----19- إجازة عبد الله بن محمد بن صالح البنا، مخطوطة بخزانة زاوية عين أقلال، دون رقم.----20- رسالة الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز في ذي القعدة 1290هـ إلى الشيخ المختار بن خليفة، مخطوطة بخزانة زاوية عين أقلال، دون رقم. محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز: الحسني الادريسي، أديب وشاعر وقاض وفقيه ومحدث، ولد بنفطة حوالي 1270هـ.... ودرس بالزيتونة، ارتحل إلى الأستانة حيث عيّنه السلطان عبد الحميد مدرسا للفقه والحديث في دار الفنون، توفي بالأستانة عام 1915، ترك آثارا كثيرة منها: "رسالة في أصول الحديث"، " السيف الرباني"، "هيئة الناسك"، "الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية"، "الجوهر المرتب"، "بروق المباسم في ترجمة محمد بن أبي القاسم"...قال عنه عبد الحي الكتاني :" كان مسند افريقية ونادرتها". وله أكثر من ثمانين شيخا. عادل نويهض، مرجع سابق، صص231،232/الكتاني، مصدر سابق، صص859،860.

21- رسالة الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز بتاريخ 20 محرم 1315هـ، مخطوطة بخزانة زاوية عين أقلال، دون رقم.

22- بشير ضيف بن أبي بكر، قسم المطبوعات مكتبة زاوية عين أقلال مطبوعات ومخطوطات، إشراف خليفة بولنوار شيخ زاوية عين أغلال، مخطوطة، دت، ص2.----23- رسالة المحدث الشيخ أحمد الأمين بن محمد المدني بن عزوز، مخطوطة بخزانة زاوية عين أقلال، دون رقم/أحمد الأمين: أحمد الأمين بن محمد المدني بن المبروك بن أحمد بن إبراهيم بن عزوز، النفطي التونسي المدني، عالم محدث مسند، روى عن كثير من العلماء، منهم محمد بن أبي القاسم الهاملي و الشيخ المختار بن خليفة وعبد الحي الكتاني...الكتاني، مصدر سابق، ص 126.

24- رسالة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي21 محرم 1314هـ ، مخطوطة بخزانة زاوية عين أقلال، دون رقم.----25- رسالة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي10 شعبان 1314هـ ، مخطوطة بخزانة زاوية عين أقلال، دون رقم.----26- رسالة من أحمد بن عبد الرحمن السنوسي البسكري إلى الشيخ المختار، مخطوطة بخزانة زاوية عين أقلال، دون رقم.----27- بشير ضيف، مرجع سابق، ص2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com